المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

جهود الفقهاء في تعظيم الله

اسم الباحث

أ / جمال حسن ميرغني

جمال حسن ميرغني

جهود الفقهاء في تعظيم الله

المقدمة

الحمد لله الذي تقدَّست عن الأشباه ذاته، وتنزَّهت عن مشابهة الأمثال صفاته، واحد لا من قِلَّة، موجودٌ لا من عِلَّة، بالبِرّ معروف وبالإحسان موصوف، خلق الخلق بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه، جلَّ جلالُه وعزَّ جارُه وجلَّ ثناؤه ولا إله غيره.

والصَّلاة والسَّلام علىٰ إمام الذَّاكرين وحبيب ربِّ العالمين، المبعوث بخير دين، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين،،

أمَّا بعد؛ فإنَّ تعظيم الله -تعالىٰ- لهو من أفضل القُرُبات عند الله، قال رسول الله ﷺ: «أَجِلُّوا اللهَ يَغْفِرْ لَكُم»، فإنَّ الباحثَ يرىٰ أنَّ إفراد مشروع لتعظيمه سبحانه وتعالىٰ، مِنَّة منه وفضل، تُرفع به الدَّرجات وتُستجلب به الرَّحَمات، ولذا؛ فإنَّه لاختيار موفَّق ليكون مِحْوَرًا للبحث في مؤتمر جامع؛ جمع بين قامات من المؤسسات الأكاديمية، كجامعة أفريقيا العالمية وجامعة أم القرىٰ.

وقد قسَّم الباحث ورقته العلمية إلىٰ تمهيد ومبحثين، تناول في المبحث الأوَّل ترجمة الإمام ابن أبي زيد القيرواني، وفي المبحث الثاني تناول الباحث جهود الإمام ابن ابي زيد القيرواني في تعظيم الله تعالىٰ من خلال مقدمة رسالته، واهتمامه الدَّقيق بتصحيح عقيدة المسلم وإيمانه، فقسَّمه الباحث إلىٰ ثلاثة مطالب؛ مطلب تقرير التَّعظيم عند ابي زيد القيرواني من خلال التَّوحيد والنَّفي وذكر أسماء الله وصفاته، المطلب الثَّاني تقرير التَّعظيم عند ابي زيد القيرواني من خلال الإيمان بالقدر والبعث بعد الموت، ومطلبٌ في القدر والقبر وحوض النَّبيِّ ﷺ، ثم الخاتمة والنتائج والتوصيات إضافة إلىٰ المراجع والفهارس.

أسأل الله أن ينفع به، ويجعله في ميزان الحسنات، ويتقبل من القائمين علىٰ أمر المؤتمر، إنَّه سميع الدَّعاء.

الباحث: جمال حسن محمد ميرغني

جامعة أفريقيا العالمية

المبحث الأول: ترجمة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني

المطلب الأول: نسبه ونشأته

أولا: اسمه ونسبه

أبو محمَّد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النَّفزي القيرواني[1].

ثانيا: مولده

ولد سنة سبع وتسعين ومائتين[2].

ثالثا: نشأته وطلبه للعلم

وَقِيْلَ: إِنَّهُ صنع (رِسَالتَه) المَشْهُوْرَة وَلَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

كان ابن أبي زيد أحد الطلبة النَّابهين يحفظ القرآن الكريم، ثمّ درس علوم الوسائل وعلوم المقاصد متمتعًا باستعداد ذهني أهلَّه أن يستفيد من بيئته العلمية استفادة أبرزت نبوغه المبكر الذي تجلَّىٰ خاصَّة في ثمرة عهد شبابه وباكورة عطائه العلمي، وهو كتاب (الرسالة) في الفقه المالكي[3].

مكانته العلمية

الفقيه النَّظَّار الحافظ الحُجَّة إمام المالكية في وقته، كان واسع العلم كثير الحفظ والرِّواية، كتبه تشهد له بذلك، فصيح القلم يقول الشِّعر ويجيده مع صلاح وورع وعِفّة، إليه انتهت رئاسة الدِّين والدُّنيا وإليه الرِّحلة من الآفاق، وهو الذي لخَّص المذهب ولمَّا نشره وذبَّ عنه[4].

كان إمام المالكية في وقته، وقدوتهم وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرِّواية وكتبه تشهد له بذلك، فصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقوله ذابًّا

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ١٤٣).

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٤٣٧).

(٣) كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ (٢٥).

(٤) شجرة النور الزّكية (١/ ١٤٣).

عن مذهب مالك، قائمًا بالحُجَّة عليه، بصيرًا بالرَّدِّ علىٰ أهل الأهواء يقول الشِّعر ويجيده ويجمع إلىٰ ذلك صلاحًا تامًّا وورعًا وعِفَّة.

وحاز رئاسة الدِّين والدُّنيا وإليه كانت الرِّحلة من الأقطار، ونَجَب أصحابُه، وكَثُر الآخذون عنه، وهو الذي لخَّص المذهبَّ وضمَّ نشرَه وذبَّ عنه، وملأت البلاد تآليفه، عارض كثير من النَّاس أكثرها، فلم يبلغوا مداه مع فضل السَّبق، وصعوبة المبتدأ، وعرف قدره الأكابر، وكان يُعرف بمالك الصَّغير.

وقال فيه القابسيُّ: هو إمامٌ موثوقٌ به في ديانته وروايته.

وقال أبو الحسن عليُّ بن أبي عبد الله القطَّان: ما قلَّدت أبا محمد ابن أبي زيد حتَّىٰ رأيتُ السَّبائي يقلِّده. واستجازه ابن مجاهد البغداديُّ وغيره من أصحابه البغداديين، واجتمع فيه العلم والورع والفضل والعقل، شهرته تغني عن ذكره، وكان سريع الانقياد والرّجوع إلىٰ الحقّ[1].

وقال الذَّهبيُّ: كان علىٰ أصول السَّلف في الأصول، لا يدري الكلام، ولا يتأوَّل. من آثاره: البيان عن إعجاز القرآن[2].

ذكر تواليفه:

له:

١- كتاب النوادر والزيادات علىٰ المدونة. مشهور، أزيد من مائة جزء.
٢- وكتاب مختصر المدونة. مشهورٌ، علىٰ كتابيه هذين المعوَّل بالمغرب في التَّفقه.
٣- وكتاب الاقتداء بأهل السنّة.
٤- وكتاب الذبّ عن مذهب مالك.
٥- وكتاب الرسالة، مشهور.
٦- وكتاب التنبيه علىٰ القول في أولاد المرتدين، ومسألة الحبس علىٰ ولد الأعيان.
٧- وكتاب تفسير أوقات الصلوات.
٨- وكتاب الثقة بالله والتوكل علىٰ الله سبحانه.
٩- وكتاب المعرفة واليقين.

---

(١) الديباج المذهب (١/ ٤٢٨).
(٢) معجم المفسرين (١/ ٣١٢).

١٠- وكتاب المضمون من الرزق.

١١- وكتاب المناسك.

١٢- ورسالة فيمن تأخذه عند قراءة القرآن والذكر حركة.

١٣- وكتاب رد المسائل.

١٤- وكتاب حماية عرض المؤمن.

١٥- وكتاب البيان عن إعجاز القرآن.

١٦- وكتاب الوساوس.

١٧- ورسالة إعطاء القرابة من الزكاة.

١٨- ورسالة النهي عن الجدال.

١٩- ورسالة في الرد علىٰ القدرية، ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي.

٢٠- وكتاب الاستظهار في الردّ علىٰ الفكرية.

٢١- وكتاب كشف التلبيس في مثله.

٢٢- ورسالة الموعظة والنصيحة.

٢٣- ورسالة طلب العلم.

٢٤- وكتاب فضل قيام رمضان.

٢٥- ورسالة الموعظة الحسنة لأهل الصدق.

٢٦- ورسالة الىٰ أهل سجلماسة في تلاوة القرآن.

٢٧- ورسالة في أصول التوحيد.

وجملة تواليفه كلها مفيدة بديعة، غزيرة العلم[1].

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٦/ ٢١٨)، وشجرة النور الزكية (١/ ١٤٤).

المطلب الثاني: شيوخه وطلابه

أولاً: شيوخه

تفقَّه بفقهاء بلده، وعوّل عن ابن اللَّباد وأبي الفضل المميسي، وأخذ عن محمَّد بن مسرور العسال، وعبد الله بن مسرور، ودراس، وأبي العرب، والقطان، والأبياني، وزياد بن موسىٰ، وسعدون الخولاني، وأحمد بن سعيد، وحبيب مولىٰ بن أبي سليمان، وجماعة.

ورحل فحجَّ وسمع من ابن الأعرابيِّ، وإبراهيم بن محمَّد بن منذر، وأبي عليٍّ ابن أبي هلال، وأحمد بن إبراهيم بن حمَّاد القاضي، والحسن بن نصر السُّوسي، وعثمان بن سعيد الغرابلي. واستجاز ابن شعبان والأبهري والمروزي، وسمع من خلق كثير[1].

ثانيًا: طلابه

سَمِعَ مِنْهُ خَلقٌ كَثِيْر، مِنْهُم: الفَقِيْه عَبْد الرَّحِيْم بن العَجُوز السَّبْتِي، وَالفَقِيْه عَبْد اللهِ بن غَالِب السَّبْتِي، وَعَبْد اللهِ بن الوَلِيْدِ بنِ سَعْد الأَنْصَارِيّ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الخَوْلاَنِيّ [2].

وفاته رَحِمَهُ اللهُ

توفي ليلة الجمعة، لسبع خلون من صفر، سنة إحدىٰ وسبعين وثلاثمائة. وقال الرقيق، والمالكي: سنة ثلاث وسبعين وصلىٰ عليه ابن الكوفي، القاضي، وحضر الصلاة عبد الله بن زيري الصنهاجي، أمير إفريقية المعروف ببلقين. وجميع عسكره، وأهل القيروان كافة، وجميع أهل المذهبين، من الموافق والمخالف[3].

---

(١) شجرة النور الزكية (١/ ١٤٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٣).

(٣) شجرة النور الزكية (١/ ٤٣٨).

المبحث الثاني: تقرير تعظيم الله تعالى من خلال مقدمة رسالة ابن ابي زيد القيرواني

المطلب الأول: تقرير التعظيم عند ابي زيد القيرواني من خلال التوحيد والنفي وذكر أسماء الله وصفاته

استفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقدمة رسالته بأنَّ الله إله واحد لا إله غيره، وهي كلمة التوحيد والإيمان والنَّجاة، فهي غاية التَّعظيم، وهو موافقٌ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]، وقول الرَّسول ﷺ: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدُّعاء الحمد لله**»(١).

وقد وردت الكثير من الأخبار في التَّهليل وجميعها ممَّا يقرِّر تعظيم الله تعالىٰ، ويدلّ عليه، أوَّلها: عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «أفضل الذِّكر لا إله إلا الله، وأفضل الدُّعاء: أستغفر الله»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وثانيها: قال عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «إن الله تعالىٰ خلق ملكًا من الملائكة قبل أن خلق السَّماوات والأرض وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله مادًّا بها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمّها، فإذا أتمّها أمر إسرافيل بالنَّفخ في الصُّور، وقامت القيامة تعظيمًا لله عزَّ وجلَّ».

وثالثها: عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «ما زلت أشفع إلىٰ ربي ويُشفِّعني، وأشفع إليه ويُشفِّعني، حتىٰ قلتُ: يا ربِّ شفِّعني فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: يا محمّد، هذه ليست لك ولا لأحد، وعِزَّتي وجلالي لا أدع أحدًا في النَّار قال: لا إله إلا الله».

ورابعها: قال سفيان الثَّوريُّ: سألتُ جعفر بن محمد عن (حم عسق)، قال: الحاء حكمه، والميم ملكه، والعين عظمته، والسِّين سناؤه، والقاف قدرته، يقول الله جلَّ ذكره: بحكمي وملكي وعظمتي وسنائي وقدرتي، لا أعذب بالنَّار من قال: لا إله إلا الله محمّد رسول الله.

وخامسها: أنَّ عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام في السُّوق، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو علىٰ كل شيء قدير، كتب له اللهُ ألفَ ألفَ حسنة، ومحا عنه ألفَ ألف سيِّئة، وبنىٰ له

---

(١) الجامع الصغير (١/ ٩٦).

بيتًا في الجنَّة»، فيه النُّكت: أحدها: ينبغي لأهل لا إله إلا الله أن يحصلوا أربعة أشياء حتىٰ يكونوا من أهل لا إله إلا الله: التَّصديق والتَّعظيم والحلاوة والحُرِّية، فمن ليس له التَّصديق فهو، منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع، ومن ليس له الحلاوة فهو مُرَاء، ومن ليس له الحرية فهو فاجر[١].

فكلام الفخر الرَّازي رَحِمَهُ اللَّهُ ممّا يبيِّن ما تضمَّنه التهليل من تقرير تعظيم الله تعالىٰ، فالمؤلف رحمه الله إنما ابتدأ مقدمته بهذه العبارة لتضمنها الغاية في التوحيد الذي يقر به التعظيم في النفوس.

ثم ابتدر المؤلَّف النَّفي بنفي الشبيه والنظير لله سبحانه واعتقاد هذا الأصل تنزيه لله عن النقائص ولا أدلَّ للقلوب علىٰ عظمة ربها من ذلك، قال العلامة الشنقيطي: ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مع تنزيهه -جلَّ وعلا- عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا. هي قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] فنفىٰ عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال[٢].

ثمّ نفي عن الله تعالىٰ الولد، فقال: ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، قال ابن جُزي، في: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦]: هذا ردّ علىٰ كلّ من جعل لله ولدًا، فمنهم النصارىٰ في قولهم: (عيسىٰ ابن الله)، واليهود في قولهم: (عُزَير ابن الله)، والعرب في قولهم: (الملائكة بنات الله). وقد أقام الله البراهين في القرآن علىٰ نفيّ الولد، وأوضحها أربعة أقوال:

---

١) تفسير الفخر الرازي،محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي،ج١، ص،٣٠١٨، دار إحياء التراث العربىٰ.

٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي.ج٢، ص، ١٩، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بيروت.

الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالىٰ ليس له جنس، فلا يمكن أن يكون له ولد، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] فوصفهما بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم، فتبطل مقالة الكفَّار.

والثَّاني: أنَّ الوالد إنّما يتخذ ولدًا للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلىٰ شيء، فلا يتخذ ولدًا، وإلىٰ هذا أشار بقوله: ﴿قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [يونس: ٦٨].

الثالث: أنَّ جميع الخلق عباد الله، والعبودية تنافي البُنوَّة، وإلىٰ هذا أشار بقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم].

الرَّابع: أنَّه لا يكون له ولدٌ، إلَّا لمن له زوجة، والله تعالىٰ لم يتخذ زوجة، فلا يكون له ولد، وإلىٰ هذا الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص] وهذا ردٌّ علىٰ الذين قالوا: انسب لنا ربَّك، وذلك أنَّ كلَّ مولود محدث، والله تعالىٰ هو الأوَّل الذي لا افتتاح لوجوده القديم الذي كان، ولم يكن معه شيء غيره فلا يمكن أن يكون مولودًا، تعالىٰ عن ذلك[١].

ففي كلام الإمام الشَّنقيطي هذا أنَّ تعظيم الله -تعالىٰ- من خلال هذا الأصل من المحاور القرآنية الأصيلة، والتي اعتنىٰ القرآن بتقريرها في كثير من المواضع، كما تعددت أساليبه في بيانها، وارتبطت بكثير من موضوعات القرآن الكريم، واستحضار هذا الأمر ممّا يستفاد منه رفعة العبارة التي ذكرها الإمام ابن أبي زيد في تقرير تعظيم الله تعالىٰ.

ثمّ نفي الشَّريك عنه -سبحانه- بقوله: ولا شريك له، وتعني: أنَّه لا شريك له في ملكه، أي: ولا في عبادته[٢] لا شريك له: وتعني أيضًا، أي: لا أريد بأعمالي غير الله، فيكون نفيًا للشِّرك الأصغر وهو الرِّياء، ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله، فيكون نفيًا للشِّرك الأكبر[٣]. والنفي عند أهل المعاني تجلية للقلب، فاذا خلا القلب الا من الله صار أقرب الىٰ ارتسام التوحيد فيه واشراق نور الله تعالىٰ عليه. فإنَّ الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه، وهو من رقائق التعظيم لله تعالىٰ.

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٢٤).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٩٠).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٨٧).

ثمّ أثبت لله تعالي صفتي القدم والبقاء بقوله: له ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، موافقًا لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، في التَّفسير: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ السَّابق علىٰ سائر الموجودات من حيثُ إنّه موجدها ومحدثها، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الباقي بعد فنائها ولو بالنَّظر إلىٰ ذاتها مع قطع النَّظر عن غيرها(١).

ثم نفي عن ربِّنا -سبحانه- الإحاطة والتَّصوير، فقال: لا يبلغ كُنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكِّرون يعتبر المتفكِّرون بآياته، ولا يتفكَّرون في ماهية ذاته، قال المفسرون: فهو أجلُّ من أن يشابه المحسوسات، ويناسب المخيلات، وهو أكبر ممّا يتوهمه المتوهمون، وأعظم ممّا يصفه الواصفون، وأعلىٰ مماّ يجده الممجدون، فإذا صوَّر لك حِسُّك مثالًا: فقل: الله أكبر، وإذا عيَّن خيالُك صورةً؛ فقل: سبحانك الله وبحمدك. وإذا زَلِق رِجل طلبك في مهواة التَّعطيل، فقل: وجَّهت وجهي للذي فطر السَّموات والأرض، وإذا جال روحك في ميادين العِزَّة والجلال، ثم ترقىٰ إلىٰ الصِّفات العُلىٰ والأسماء الحُسنىٰ وطالع من مرقومات القلم علىٰ سطح اللَّوح نقشًا، وسكن عند سماع تسبيحات المقربين وتنزيهات الملائكة الرَّوحانيين إلىٰ صورة، فاقرأ عند كلِّ هذه الأحوال: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات](٢).

وفي هذا تعبير بديع في الإمام الفخر الرَّازي في تنزيه الله تعالىٰ وتعظيمه بما يستحق من تعظيم، فربّنا مستحقٌّ لكلِّ كمال، منزَّهٌ عن كلِّ نقص، وليس كمثله شيء، ثم وصف عظمته حين قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] العالم الخبير المدبر القدير السَّميع البصير العلي الكبير، وأنَّه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كلِّ مكان بعلمه خلق الإنسان، يقول البيضاويُّ فيها: تصوير لعظمته، وتمثيل مجرد، كقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، ولا كرسي في الحقيقة و لا قاعد. وقيل: كرسيه مجازٌ عن علمه أو ملكه، مأخوذ من كرسي العالم والملك. وقيل: جسم بين يدي العرش، ولذلك سُمِّي كُرسيًّا، محيطٌ بالسَّموات السَّبع لقوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما السَّموات السَّبع والأرضون**

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٧٥).
(٢) تفسير الفخر الرازي (١/ ٢٥٩).

السَّبع من الكرسيّ، إلَّا كحلقة في فلاة. وفضل العرش علىٰ الكرسيِّ كفضل تلك الفلاة علىٰ تلك الحلقة». ولعلّه الفلك المشهور بفلك البروج، وهو في الأصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد، وكأنَّه منسوبٌ إلىٰ الكرسيِّ، وهو المُلَبَّد. ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: ولا يثقله، مأخوذ من الأود، وهو الاعوجاج. ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: حفظه السَّموات والأرض المتعالي عن الأنداد والأشباه. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ المستحقر بالإضافة إليه كلّ ما سواه، وهذه الآية مشتملة علىٰ أمَّهات المسائل الإلهية، فإنّها دالّة علىٰ أنَّه -تعالىٰ- موجود واحد في الألوهية، متَّصف بالحياة واجبٌ لذاته، موجدٌ لغيره إذِ القيُّوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره، منزَّه عن التَّحيز والحلول مبرأ عن التَّغير والفتور، لا يناسب الأشباح، ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له، عالم الأشياء كلها جليِّها وخفِّيها، كُلِّيِّها وجزئيِّها، واسع الملك والقدرة، كلّ ما يصح أن يملك ويقدر عليه، لا يؤده شاقّ، ولا يشغله شأنٌ، متعال عمّا يدركه، وهو عظيم لا يحيط به فهم، ولذلك قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلىٰ الغد من تلك الساعة»**، وقال: **«من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله علىٰ نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله»**[1].

وفي هذا بيانٌ لاعتناء علماءنا الأوائل من المفسرين وغيرهم بتعظيم الله تعالىٰ ونفي صفات المخلوقات عنه سبحانه، من خلال تفسيرهم للقرآن، مبينين عناية القرآن بالتَّعظيم، شارحين ما يلبس علىٰ العقول من توهم وتصوير .

وأثبت الإمام ابن ابي زيد القيرواني لله سبحانه علمَه بما في صدور العالمين، وعلمه بما دقّ من أفعال خلقه، فقال: ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلَّا يعلمها، ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلَّا في كتاب مبين، وقال القرطبيُّ نقلًا عن أبي إسحاق الإسفرائيني: من أسماء صفات الذَّات ما هو للعلم منها: العليم، ومعناه: تفهيم جميع المعلومات، ومنها: الخبير، ويختصّ بأن يعلم

---

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل،البيضاوي، ج،١، ص،٥٥٢، دار الفكر، بيروت .

ما يكون قبل أن يكون، ومنها: الحكيم، ويختصّ بأنَّه يعلم دقائق الأوصاف، ومنها: الشَّهيد، ويختصّ بأن يعلم الغائب والحاضر، ومعناه: ألَّا يغيب عنه شيء. ومنها: الحافظ، ويختصّ بأنَّه لا ينسىٰ، ومنها: المُحصي، ويختصّ بأنَّه لا تشغله الكثرة عن العلم، مثل ضوء النَّهار، واشتداد الرِّيح، وتساقط الأوراق، فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات في كلّ ورقة، وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك]، و﴿مَنْ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أجازوا فيها أن تكون فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾، وهو الله تعالىٰ، أي: إنَّ الذي خلق يعلم ما خلق، ومنه: ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾. وأجازوا أن تكون مفعولًا، والفاعل ضمير مستتر في الفعل ﴿يَعْلَمُ﴾، ذكرهما القرطبي وأبو حيان، وهو واضح ومحتمل. ولكن الذي تشهد له النصوص أنّها مفعولٌ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ١٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر] علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ، وله الأسماء الحسنىٰ[1].

ونفي الامام ابن زيد أن تكون صفات الله مخلوقة بقوله: والصِّفات العُلىٰ لم يزل بجميع صفاته وأسمائه تعالىٰ أن تكون صفاته مخلوقة، وأسماؤه محدثة، كلَّم موسىٰ بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه، وتجلَّىٰ للجبل فصار دكًّا من جلاله، وأنَّ القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد. قال الامام أحمد وغيره: علىٰ أنَّ كلام العباد مخلوق، وهم إنَّما يتكلَّمون بالأسماء والحروف التي يوجد نظيرها في كلام الله -تعالىٰ- لكن الله -تعالىٰ- تكلَّم بها بصوت نفسه وحروف نفسه وذلك غير مخلوق، وصفات الله -تعالىٰ- لا تماثل صفات العباد؛ فإن الله -تعالىٰ- ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا صفاته، ولا أفعاله. والصَّوت الذي ينادي به عباده يوم القيامة، والصَّوت الذي سمعه منه موسىٰ، ليس كأصوات شيء من المخلوقات، والصَّوت المسموع هو حروف مؤلَّفة، وتلك لا يماثلها شيءٌ من صفات المخلوقين، كما أنَّ علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده؛ فإنَّ الله لا يماثل المخلوقين في شيء من الصِّفات، وهو -سبحانه- قد علم العباد من علمه ما شاء، كما قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهم إذا علمهم الله ما علمهم من علمه، فنفس علمه الذي اتَّصف به ليس مخلوقًا، ونفس العباد وصفاتهم

---

١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي.ج٨، ص، ٢٣٦، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بيروت.

مخلوقة، لكن قد ينظر النَّاظر إلىٰ مُسمَّىٰ العلم مطلقًا، فلا يقال: إنَّ ذلك العلم مخلوق لاتِّصاف الرَّبِّ به، وإن كان ما يتَّصف به العبد مخلوقًا. وأصل هذا: أنَّ ما يوصف الله به ويوصف به العباد، يوصف الله به علىٰ ما يليق به، ويوصف به العباد بما يليق بهم من ذلك؛ مثل: الحياة والعلم والقدرة، والسمع والبصر والكلام؛ فإنَّ الله له حياة وعلم وقدرة، وسمع وبصر وكلام. فكلامه يشتمل علىٰ حروف وهو يتكلم بصوت نفسه، والعبد له حياة وعلم وقدرة، وسمع وبصر وكلام، وكلام العبد يشتمل علىٰ حروف وهو يتكلم بصوت نفسه.

فهذه الصفات لها ثلاثة اعتبارات: تارة تعتبر مضافة إلىٰ الرَّبِّ، وتارة تعتبر مضافة إلىٰ العبد، وتارة تعتبر مطلقة لا تختص بالرَّبِّ ولا بالعبد. فإذا قال العبد: حياة الله وعلم الله وقدرة الله وكلام الله ونحو ذلك، فهذا كلّه غير مخلوق، ولا يماثل صفات المخلوقين، وإذا قال: علم العبد وقدرة العبد وكلام العبد، فهذا كلّه مخلوق، ولا يماثل صفات الرَّبِّ. وإذا قال: العلم والقدرة والكلام، فهذا مجملٌ مطلقٌ لا يقال عليه كلّه: إنَّه مخلوقٌ، ولا أنَّه غير مخلوق، بل ما اتَّصف به الرَّبُّ من ذلك فهو غير مخلوق، وما اتَّصف به العبد من ذلك فهو مخلوق، فالصِّفة تتبع الموصوف، فإن كان الموصوف هو الخالق فصفاته غير مخلوقة، وإن كان الموصوف هو العبد المخلوق فصفاته مخلوقة[1].

وهذا من بديع ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من تعظيم الله سبحانه، وذلك بتنزيه من صفات المخلوقات وإفراده بما يستحق من تعظيم بقوله: وأصل هذا: أنَّ ما يوصف الله به ويوصف به العباد، يوصف الله به علىٰ ما يليق به، ويوصف به العباد بما يليق بهم من ذلك. فالعاقل لا بد أن يُميِّز ما بين الخلق والخالق، وبالتَّالي صفات الخلق وصفات الخالق لا يتساويان ولا يتشابهان.

---

١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (١/ ٥٥).

المطلب الثاني: تقرير التعظيم عند ابي زيد القيرواني

من خلال الايمان بالقدر والبعث بعد الموت

وأشار الإمام ابن أبي زيد القيرواني إلىٰ واحد من أركان الايمان، وهو الايمان بالقدر خيره وشرِّه، فقال: والإيمان بالقدر خيره وشرِّه حلوه ومُرِّه، وكلّ ذلك قد قدَّره الله ربُّنا، ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، علم كلَّ شيء قبل كونه فجرىٰ علىٰ قدره، لا يكون من عباده قولٌ ولا عملٌ، إلَّا وقد قضاه، وسبق علمه به ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك]، يضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكلٌّ مُيسَّرٌ بتيسيره إلىٰ ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد، تعالىٰ أن يكون في مُلكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنًىٰ، أو يكون خالقٌ لشيء إلَّا هو ربُّ العباد وربُّ أعمالهم، والمُقَدِّر لحركاتهم وآجالهم.

قال الوليد بن عبادة بن الصَّامت: أوصاني أبي عند موته، فقال: يا بُني، اتقِ الله، واعلم أنَّك لن تتقي ولن تبلغ العلم حتىٰ تؤمن بالله وحده، والقدر خيره وشرِّه، سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اُكتب. فقال: يا ربِّ، وما أكتب؟ فقال: اُكْتُب القدرَ. فجرىٰ القلمُ في تلك السَّاعة بما كان وما هو كائن إلىٰ الأبد**». وقال ابن عبَّاس: أوَّل ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائنٌ؛ فكتب فيما كتب ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المَسَد]. وقال قتادة: القلم نعمة من الله تعالىٰ علىٰ عباده. قال غيره: فخلق الله القلم الأوَّل، فكتب ما يكون في الذِّكر، ووضعه عنده فوق عرشه، ثم خلق القلم الثاني ليكتب به في الأرض[1].

ومن تعظيم الله تعالىٰ وممَّا يجب أن يرسخ في القلوب: أنَّه -تعالىٰ- مدبِّر كلَّ شيء ومقدره، لا يتحرَّك متحرِّك، ولا يسكن ساكن إلَّا سبق في علمه -تعالىٰ- وتقديره، فالإيمان بالقدر خيره وشرِّه من أساليب تعظيم الله تعالىٰ، لأنَّ فيها التَّسليم بإرادته سبحانه، وإحالة كل شيء له ومنه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بشيء لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بشيء قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بشيء لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بشيء قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». قَالَ أَبُو عِيسَىٰ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه التّرمذيُّ (٢٧٠٦).

فكان هذا تعليم النبي ﷺ للغلمان، ايمان بالقدر خيره وشره، يجب أن يرسخ في النُّفوس منذ الصِّغر، ممَّا فيه تعظيم لأمر الله وقضاءه في العباد؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ(١).

فكان هذا تعليم النبيِّ ﷺ للمسلمين صِغارًا وكبارًا، إيمان بالقدر خيره وشرِّه، يجب أن يرسخ في النُّفوس منذ الصغر، ممّا فيه تعظيم لأمر الله وقضاءه في العباد.

كما تناوَّل الإمام ابن أبي زيد مسألة البعث بقوله: وأنَّ الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون، وهي من ثوابت العقيدة الإسلامية، ذكرها القرآن الكريم في كثير من المواضع سيما السُّور المكية؛ لأنّها أي الفترة المكية فترة تأسيس الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الروم]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًّا .

فعن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: مَن لقي الله يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وآمن بالبعث والحساب دخل الجنة. ذكره ابنُ كثير في (البداية والنهاية) فالإيمان بالبعث بعد الموت من أوجب أمور الدِّين، وفي ذكره تقرير لتعظيم الله تعالىٰ في النُّفوس.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩٧).

المطلب الثالث: تقرير التعظيم عند ابي زيد القيرواني من خلال الايمان باليوم الآخر والقبر

تناول الإمام ابن أبي زيد القيرواني رُكنًا من أركان الإيمان السِّتَّة، وهو الإيمان باليوم الآخر، فقال: «وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من يموت، كما بدأهم يعودون».

وفي هذا الرُّكن تقرير لتعظيم الله تعالىٰ في نفس المؤمن، فهو يوم القيامة، والصَّاخَّة، والطَّامَّة، ويوم الدِّين والحساب، ويوم يقوم النَّاس لربِّ العالمين، وفيه تبرز عظمة الخالق وقهره علىٰ عباده، يوم ترىٰ كلَّ أُمَّة جاثية، بذكره يعظم الله في القلوب، ويرسخ الإيمان.

كما تناول الإمام ابن أبي زيد القيرواني حقائقَ عن السَّاعة واجب علىٰ كل مسلم معرفتها بالضرورة، ويعظم فيها الله، كالإيمان بالجنة والنار، والثواب والعقاب، وأن الإيمان يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية، وأنَّ أهل الإيمان هم الفائزون يوم القيامة، وهو يوافق قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان]: وهيأنا للمكذبين بها نارًا شديدة الإسعار، أي: الاشتعال. ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي: النَّار، أي: قابلتهم ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾؛ بأن كانت منهم بمرأىٰ للنَّاظرين في البُعد، كقوله في شأن المؤمن والكافر: «**لا تترآءىٰ نَاراهُما**»، أي: لا يتقاربان بحيث تكون إحداهما بمرأىٰ من الأخرىٰ. ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ أي: سمعوا صوت غليانها. شُبِّه ذلك بصوت المتغيظ والزَّفير، وهو صوت من جوفه. ولا يبعد أن يخلق الله فيها الإدراك فتتغيظ وتزفر. وقيل: إنَّ ذلك من زبانيتها، نُسب إليها، وهو بعيد. ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا﴾؛ من النار ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ أي: في مكان ضيق؛ لأنَّ الكرب يعظم مع الضيق، كما أنَّ الرُّوح يعظم مع السَّعة، وهو السِّرُّ في وصف الجنة بأن عرضها السَّموات والأرض. وعن ابن عبَّاس وابن عمر: «تضيق جهنم عليهم، كما يضيق الزجُّ علىٰ الرُّمح»[1].

وهو يوافق قول ربنا سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]: وهو يرفع العمل فالعمل من غير المؤمن لا يقبل، ولهذا قدم الإيمان علىٰ العمل، وههنا لطيفة، وهي أن أعمال المكلف ثلاثة عمل قلبه وهو فكره واعتقاده وتصديقه، وعمل لسانه وهو ذكره وشهادته، وعمل جوارحه وهو طاعته وعبادته . فالعبادة البدنية لا ترتفع بنفسها وإنما ترتفع بغيرها، والقول الصادق يرتفع بنفسه كما بين في الآية، وعمل القلب وهو

---

(١) البحر المديد (١٢/ ٢٨٠).

الفكر ينزل إليه كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله ينزل إلىٰ السَّماء الدُّنيا ويقول: هل من تائب**»، والتَّائب النَّادم بقلبه، وكذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يقول الله -عزَّ وجلَّ- أنا عند المنكسرة قلوبهم»، يعني: بالفكرة في عجزه وقدرتي وحقارته وعظمتي، ومن حيثُ العقل مَن تفكر في آلاء الله وجد الله وحضر ذهنه، فعلم أنَّ لعمل القلب يأتي الله وعمل اللسان يذهب إلىٰ الله، وعمل الأعضاء يوصل إلىٰ الله، وهذا تنبيهٌ علىٰ فضل عمل القلب.

المسألة السابعة: ذكر الله من أعمال العبد نوعين: الإيمان والعمل الصالح، وذكر في مقابلتهما من أفعال الله أمرين تكفير السيئات والجزاء بالأحسن حيث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت] فتكفير السيئات في مقابلة الإيمان، والجزاء بالأحسن في مقابلة العمل الصالح، وهذا يقتضىٰ أمورًا الأول: المؤمن لا يخلد في النار لأن بإيمانه تكفر سيئاته فلا يخلد في العذاب الثاني: الجزاء الأحسن المذكور ههنا غير الجنة، وذلك لأن المؤمن بإيمانه يدخل الجنة إذ تكفر سيئاته ومن كفرت سيئاته أدخل الجنة، فالجزاء الأحسن يكون غير الجنة وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، ولا يبعد أن يكون هو الرؤية.

الأمر الثالث: هو أن الإيمان يستر قبح الذنوب في الدنيا فيستر الله عيوبه في الأخرىٰ، والعمل الصالح يحسن حال الصالح في الدنيا فيجزيه الله الجزاء الأحسن في العقبىٰ، فالإيمان إذن لا يبطله العصيان بل هو يغلب المعاصي ويسترها ويحمل صاحبها علىٰ الندم، والله أعلم.

المسألة الثامنة: قوله: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يستدعي وجود السَّيئات حتىٰ تُكَفَّر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بأسرها من أين يكون لهم سيئة؟ فنقول: الجواب عنه من وجهين؛ أحدهما: أنَّ الله وعد الجميع بأشياء لا يستدعي وعد كلّ واحد بكلّ واحد من تلك الأشياء، مثاله: إذا قال الملك لأهل بلد: إذا أطعتموني أُكْرِم آباءكم، وأحترم أبناءكم، وأنعم عليكم، وأُحْسِن إليكم، لا يقتضي هذا أنَّه يكرم آباء من توفِّي أبوه، أو يحترم ابنَ مَن لم يولد له ولد، بل مفهومه: أنَّه يُكرم أبَ مَن له أب، ويحترم ابنَ مَن له ابن، فكذلك يُكفِّر سيئةَ مَن له سيئة. الجواب الثاني: ما من مُكَلَّف إلَّا وله سيئة، أمَّا غير الأنبياء فظاهر، وأمَّا الأنبياء فلأن ترك الأفضل منهم كالسِّيئة من غيرهم[1].

---

(١) تفسير الفخر الرازي (١٢/ ١٢٨).

وجعل الإمام ابن أبي زيد الايمان مرتكزًا للأعمال، وسببًا للنَّجاة في الآخرة، قال العلَّامة الشنقيطي في تفسيره للآية: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف]، وقوله في (الزمر): ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾: «قد أقسم تعالىٰ علىٰ أن هذا الخسران لا ينجو منه إنسان إلا بأربعة أمور: الأول: الإيمان. الثاني: العمل الصالح. الثالث: التواصي بالحق. الرابع: التواصي بالصبر. وذلك في قوله: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ ﴾ [العصر] إلىٰ آخر السُّورة الكريمة [(١)].

كما تناول الإمام ابن ابي زيد الايمان بالقبر، وهو من ثوابت الدِّين الباعثة علىٰ الإيمان، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو: «**أعوذ بالله من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات**»، وقال ﷺ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»[(٢)]. وهو هادم اللَّذات، كما أخبر عنه ﷺ، فالإيمان به واجب والتعوذ منه مطلوب، وهو من مصادر الإيمان وبواعثه .

(١) أضواء البيان (٢/ ١٥٨).

(٢) الجامع الصغير من حديث البشير النذير (٢/ ٢٧٢).

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه تمكَّن الباحث من إلقاء الضوء علىٰ واحدة من كنوز علماءنا الأكابر، وهي مقدمة (رسالة ابن أبي زيد القيرواني)، وهي رسالة تفرَّدت بالجمع بين الإيمان والفقه، تناول في المبحث الأول ترجمة الإمام ابن أبي زيد القيرواني، وضَّح فيها علو مكانته وأنه انتهت اليه رياسة الدِّين في زمانه، كما تناول الباحث في المبحث الثاني: المطلب الأوَّل تقرير التعظيم عند ابي زيد القيرواني من خلال التوحيد و وذكر أسماء الله وصفاته، وابتدر ابن أبي زيد رسالته بتعظيم الله من خلال كلمة الايمان (لا إله إلا الله)، ثم ذكر بعض أسماء الله وصفاته، المطلب الثاني تقرير التعظيم عند ابن أبي زيد القيرواني من خلال الإيمان بالقدر والبعث بعد الموت، ومطلب في القدر والقبر، ثمّ الخاتمة والنتائج والتوصيات.

النتائج:

توصل الباحث بفضل الله من خلال عمله في هذه الورقة الىٰ النتائج الآتية:

١- عناية الفقهاء بتعظيم الله سبحانه وتعالىٰ.
٢- تنوع أساليب القران الكريم في تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ.
٣- اهتمام السنة النبوية بتعظيم الله تعالىٰ.
٤- تقرير تعظيم الله سبحانه من أكبر بواعث الإيمان في النفوس، بل هو من مرتكزاته.

التوصيات:

يوصي الباحث بعدة أمور، وهي:

١- العناية بتعظيم الله سبحانه في تدريس العلوم الشرعية وتقديمها علىٰ غيرها من أصول العلم وفروعه.
٢- بيان اهتمام القرآن الكريم بتعظيم الله تعالىٰ من خلال تنوع أساليب التعظيم في القرآن الكريم.
٣- العناية بتعظيم الله تعالي من خلال السنة النبوية وبيان ذلك ونشره.
٤- إفراد بحوث لتعظيم الله تعالىٰ من خلال الكتابة في أركان الإيمان الستة.

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

كتب السنة النبوية:

٢- الجامع الصحيح المسمىٰ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري.

٣- سنن الترمذىٰ، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسىٰ.

٤- كتاب الجامع في السنن والآداب و المغازي والتاريخ-لابن أبي زيد- تح محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ.

٥- الجامع الصغير من حديث البشير النذير.

كتب التفسير:

٦- تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بيروت.

٨- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، لبنان.

٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، دار الفكر، بيروت.

١٠- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن ابي سالم مخلوف، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٤هـ.

١١- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتىٰ العصر الحاضر، عادل نويهض، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

١٢- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي.

١٣- مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (التفسير).
١٤- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٥- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
١٦- البحر المديد ـ تفسير ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣هـ.
١٧- كتب الطبقات والتراجم:
١٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسىٰ اليحصبي، ط١، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب.
١٩- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
٢٠- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، مؤسسة الرسالة.